**الرثاء بين الجاهلية و الإسلام**

الرثاء هو ذِكر صفات الميّت الحَسَنة والتفجّع عليه مع التأسي بأخلاقه، وكانت قصيدة الرثاء تقوم على أمورٍ عدّة، منها الاستهلال وهو ابتداء القصيدة بذِكر حادثة الموت وزمانها ومكانها، ثمّ ذكر تأثير الحادثة ووقعها على أهل الميت وفي نفس الشاعر، أمّا العمود الثالث لقصيدة الرثاء فهو تأبين الميت وذكر محاسنه، وهنا تختلف طريقة التأبين بحسب الشخص المُتَوفّى، فإن كان شابًا أو كهلًا يذكر الشاعر صفات الكرم والشجاعة والقوة والإقدام، أما إن كان المتوفى شيخًا فيذكر الشاعر صفات الوقار والتوبة، وإن كان طفلًا فسيذكر صفات البراءة والطهر، أما المرأة فسيذكر محاسنها الخَلقية والخُلقية، والعنصر الرابع لقصيدة الرثاء هو التأسّي بصفات الميت الحميدة والتعزية به.

عُرف الرثاء منذ العصر الجاهليّ، وامتاز بالصدق والعفويّة، حيث كان الشعراء بالجاهلية يذكرون محاسن مواتهم وقتلاهم في الحرب كي يشعلوا نار الثأر في قلوب أقوامهم فكانوا يذكرون مناقب موتاهم ومحاسنهم ويبكونهم بكاءً شديدًا، وكما كان الشعراء يذكرون المحاسن ويعددون الفضائل بقصيدة المدح، كذلك برعوا بذكرها في قصيدة الرثاء حتّى عُرِفت قصيدة رثاء الميت بذكر فضائله، فقد كان الشّعراء يرثون آباءهم ويبكون فراقهم، ويتحسّرون على تكملة الحياة بعيدًا عنهم، معبّرين عن حزنهم الشّديد من فراقهم، فالأب هو المنجب والمربّي والمعلّم، وهو من يسعى جاهدًا ليحقّق لأبنائه السّعادة ومتطلبات الحياة، فهو الركن الأساسي الذي تقوم عليه دعائم البيت، فبه يعمر البيت ويسعد، فإذا ما اقترب منه الموت تفطّر القلب حزنًا على فراقه.

و رثاء الابن كان شديد التّأثير والتّمكّن من نفس الإنسان، وذلك لما يحمله من عواطف صادقة قد صدرتْ عن فؤاد كلٍّ من الأمّ والأب، فالأم قد حملتْ طفلها داخل رحمها وهنًا على وهن، وتحمّلتْ التّعب والعناء لتمتّعَ عينيها برؤيته جالسًا بين يديها، وبعد أن تضع حملها تحنو عليه وتقدّم له العناية والرّعاية والحنان والحب، لتصلَ به إلى أفضل ما يمكن، وكذلك الأب يتعب ويتحمّل أعباء الحياة ليؤمّن حياةً كريمة لذلك الطّفل، ثمَّ تأتي صروف الدّهر ونوائبه وتسلب هذا الطّفل من والديه، فيجد المرء أنّ أبويه قد جزعا، ووصلا إلى مرحلةٍ من التّوجّع والألم يصعب تحمّلها.

وكان للمرأة دور مهمّ في رثاء القتلى بالحروب، فقد كُن يَدعُنّ بدعوى الجاهلية، ومن النساء اللّاتي بَرعنَ في هذا المجال هند بنت عتبة التي حاكت الخنساء برثاء أخويها صخر ومعاوية، حيث مكثت السنوات الطوال وهي ترثي أخاها صخر وبقي الرثاء في صدر الإسلام، إلّا أن العقيدة الجديدة أضفت عليها تطورات وتغيرات مثل الرضى بالقضاء والقدر والتسليم لله -سبحانه وتعالى، ومن ذلك ما قالته فاطمة -رضي الله عنها- برثاء النبي -صلى الله عليه وسلم.

الرثاء من الفنون الأدبية التي مرت عبر عدة مراحل ليصل إلى العصر الأموي ناضجًا فوَّاحًا مُضيفًا إلى الثروة اللغوية فرادةً وتجديدًا، ولقد انكمش الشعر وأغراضه ما قبل العصر الأموي، إلّا أنّ الرثاء في العصر الأموي ازداد وتوسعت أبوابه، فقد طرق شعراء العصر الأموي أبوابًا كثيرة منها ما هو جديد تبعًا لظروف حياتهم، ومنه ما هو قديمٌ طُرِقَ مسبقًا بالعصر الجاهلي والإسلامي كالرثاء، فقد بقي الرثاء على وضعه بالعصر الجاهلي والإسلامي، إلا أنّهم بالعصر الأموي أضافوا عليه إضافات جديدة حتى جعلوه غرضًا مستقلًا بذاته، كرثاء القادة والخلفاء وأصحاب الشأن من الدولة وهذا ما عُرف بالرثاء السياسي، فقد انتشر بهذا العصر ظاهرة التكسب بالشعر، وعلى هذا نجد أن الرثاء قد بدأ تدريجيًا بافتقاد الصدق والإخلاص وحرارة المشاعر؛ لأنه كان رثاءً تقليديًّا طمعًا بالمكاسب والمال، فلم تكن المشاعر الجياشة وصدق تلك المشاعر إلّا في حال كان المتوفّى قريبًا من الشاعر كزوجه أو ابنه .

هناك العديد من القصائد في هذا العصر، منها ما كان مكتسبا به، ومنها ما كانت تنضح بمشاعر الألم والحزن، ومن أشهر الشعراء الذين بَرعوا بالرثاء في العصر الأموي: الأخطل وجرير والفرزدق.

<https://sotor.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AB%D8%A7%D8%A1_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%8A>